خراسان وغيرهم ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب
أحدهم فقام وسئله عن حديث من تلك العشرة التي عنده فقال لا أعرفه
حتى فرغ العشرة فلان الفقيه يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون
الرجل فيهم ومن كان لا يدري قضى عليه بالعجز ثم انتدب آخر ففعل
كفعل الأول والبخاري يقول لا أعرفه الى أن فرغ العشرة الأنفس
وكل واحد منهم ذكر أحاديثه العشرة التي حملت عنده وهو لا يزيدهم
على قوله لا أعرفه فلما علم أنهم فرغوا التفت الى الأول فقال اما حديثك
الأول فقلت فيه كذا وصوابه كذا وحديثك الثاني كذا وصوابه كذا
والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن منهم
الى اسناده وكل اسناد الى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك فأقر
الناس له بالحفظ واذعنوا بالفضل تفقه البخاري على الحميدي
والحميدي على الشافعي فإن البخاري في أول أمره مقلد الشافعي
ثم لما بلغ مرتبة الاجتهاد اجتهد فهو من الأئمة المجتهدين رضي الله عنه
قال قتيبة بن سعيد جالست الفقهاء والعباد والزهاد فما رأيت منذ
عقلت مثل محمد بن اسماعيل وهو في زمانه كعمر بن الخطاب رضي الله عنه
ولو كان البخاري في الصحابة لكان آية وقال أبو مسهر محمود بن النضر
سمعت أكثر من ثلاثين عالما مقولون حاجتنا في الدنيا النظر الى
محمد بن اسماعيل وكنت استملي له ببغداد فبلغ من حضر المجلس
عشرين ألفا وقال عبد الله بن حماد ودت اني كنت شعرة في جسد
محمد بن اسماعيل وكان رضي الله عنه غاية في الحياء والشجاعة والسخاء
والورع والزهد في دار الدنيا الرغبة في دار البقاء وكان يختم في رمضان
كل يوم ختمة ويقوم كل ثلاث ليال بختمة وسمعته يقول ما أحصي
في سبعة عشر موضعا حتى تورم جسده ولم يتحرك في صلاته ولم يتغير
من حالته المألوفة فقال له بعض الحاضرين بعد فراغه كيف لم تتحرك من
الصلاة أول ما سعد فقال كنت في سورة فأحببت أن أتمها

وكان رضي الله عنه

وكان رضي الله عنه حافظا لقلبه ولسانه وكان يقول أرجو أن ألقى الله
تعالى ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا وفي رواية عنه أرجو أن لا يكون
لي خصم يوم القيامة وكان قدورة من أبيه ما الأكثر افكان يتصدق به
وكان قليل الأكل جد الكثير الاحسان الى الطلبة مفرطا في الكرم وكان
يتجر أحيانا وحملت اليه بضاعة انفقها اليه وكيله أبو حفص فاجتمع
بعض التجار اليه بالعشية وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم فقال
لهم انصرفوا فجاءه من الغد تجار آخرون يطلبونها بربح عشرة آلاف
درهم وقال اني نويت البارحة بيعها الى الذين أتوا البارحة ولا أحب ان أغير
نيتي وكان له شعر بليغ مشتمل على حكم ومواعظ فمنه قوله

اغتنم في الفراغ فضل ركوع ✦ فعسى أن يكون موتك بغته
كم صحيح رأيت من غير سقم ✦ ذهبت نفسه الصحيحة فلته

قال الفربري أن الذين سمعوا صحيح البخاري ورووه عنه تسعون ألفا
ولما وقعت المحنة من بني العباس للناس في القول بخلق القرآن وصاروا
يحضرون العلماء من الآفاق فمن وافقهم أكرموه ومن خالفهم اهانوه
فأرسلوا اليه يطلبون حضوره فضجر من ذلك وخاف من الفتنة فدعا
في ليلة بعد فراغه من صلاة الليل وقال اللهم قد ضاقت علي الأرض
بما رحبت فاقبضني اليك غير مفتون فتوفي في يومه فدفن ذلك الشهر ليلة
عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين عن اثنتين وستين سنة لأن ولادته
كما تقدم كانت سنة مائة واربعة وتسعين قال بعضهم في تاريخ ولادته
ووفاته ولد في صدق وتوفي في نور وأرخه بعضهم نظما فقال

كان البخاري حافظا ومحدثا ✦ جمع الصحيح مكمل التحرير
ميلاده صدق ومدة عمره ✦ فيها حميد واختفى في نور

ولما صلي عليه ووضع في حفرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك
ودامت أياما يأخذون منه وقال عبد الواحد بن آدم رأيت النبي صلى الله
عليه وسلم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضعه فلما قام عليه

ولا ينافي طلبه الموت حديث لا يتمنين
أحدكم الموت لأن هذا محله فيما اذا كان
لغرض دنيوي وأما اذا كان لخوف
الافتتان في دينه فلا بأس به والله
رحمه الله تعالى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)